

الخاتون آبادي سبط العلامة المجلسي في وصيته لتلميذه

«.. لا أعني «بذكر الله» أن يلهج اللسان بـ «الذكر»، ولو أنه من أقسام «ذكر الله»، بل أعني أن تظهر وتتجلى الأذكار اللسانية، على ما عدا اللسان من الجوارح..».

«الإجازة» في الجامعات العلمية الحوزوية، بمعنى الإجازة المتعارف عليها اليوم في المعاهد التخصصية والجامعات. ويقضي النظام الحوزوي بأن يعطي الأستاذ تلميذه إجازة. وقد تكون إجازة اجتهد أو إجازة رواية، وفي الحالين تُختم الإجازة بوصية، إلا أن الوصية تكون مبسطة وافية في نهاية إجازة الاجتهاد. والخاتون آبادي هو السيد محمد حسين الأصفهاني سبط العلامة محمد باقر المجلسي وإمام الجمعة بأصفهان وجدّ أئمة الجمعة بطهران. توفّي سنة 1151 هجرية، وممن يروي عنه: السيد بحر العلوم، والسيد عبدالله سبط السيد نعمه الله الجزائري. في ما يلي، القسم الأول من ختام إجازة أحد كبار العلماء «الخاتون آبادي»، لتلميذه العالم الشيخ الخونساري.

اليقين ومعرفة الجبار. فذكر اللسان الحمد والثناء. وذكر النفس الجهد والعناء. وذكر الروح الخوف والرجاء. وذكر القلب الصدق والصفاء. وذكر العقل التعظيم والحياء. وذكر المعرفة التسليم والرضاء. وذكر السر على رؤية اللقاء. (...)

من تدبّر في هذا الخبر، ظهر له ما لا يُحصى من الحقائق وتجلّت له أسرار كثيرة، فتدبّر وتبصّر! أمّا الرواية الثانية، فقد وردت في مصباح الشريعة. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من كان ذاكرًا لله تعالى على الحقيقة فهو مطيع، ومن كان غافلاً عنه فهو عاص، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلهما الذكر والغفلة. فاجعل قلبك قبلة لسانك، لا تحركه إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضى الايمان، فإنه تعالى عالم بسرّك وجهرك. وكن كالنازع روحه، كالواقف في العرض الأكبر، غير شاغل نفسك عمّا عنك بما كلفك به ربك في أمره ونهيه ووعده ووعيده، ولا تشغلها بدون ما كلف به ربك، واغسل قلبك بماء الحزن والخوف، واجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكره إياك، فإنه ذكرك وهو غني عنك، فذكره لك أجل وأشهى وأثنى وأتم من ذكرك وأسبق. ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والاستحياء والإنكسار، ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق وتصغر عند ذلك طاعتك - وإن كثرت - في جنب منته، وتخلص لوجهه. ورؤيتك ذكرك

... وأما الوصايا التي درج الأساتذة على أن يختموا بها «إجازاتهم» لطلابهم، وأن يأخذوا من «الطالب» ميثاقاً بالعمل بها، مثلما سبق لهم أن تعهدوا بذلك، فسوف أعددها لك، ولو أنّ ذلك العالم العليم، أجل من أن يعظه مثلي.

* أولى تلك الوصايا: تقوى الله دوماً والتنبّه إلى أوامره ونواهيه في السرّ والعلن وذكره تعالى في جميع الأوقات. لا أعني بـ «ذكر الله» أن يلهج اللسان بـ «الذكر»، ولو أنه من أقسام «ذكر الله»، بل أعني أن تظهر وتتجلى الأذكار اللسانية، على ما عداها من جوارح الإنسان. لا ريب أنّ حقيقة هذا الأمر، تتضح بالتدبّر في روايات هذا الموضوع.

سأورد هنا روايتين، أشمل وأنفع من سواهما. أولاهما، الرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق - طاب ثراه - في الخصال:

الذكر مقسوم على سبعة أعضاء. اللسان والروح والنفس والعقل والمعرفة والسر والقلب. وكل واحد منها يحتاج إلى الإستقامة، فأما استقامة اللسان فصدق الإقرار [المقال]. واستقامة الروح صدق الإستغفار. واستقامة القلب صدق الاعتذار [التوبة]. واستقامة العقل صدق الإعتبار. واستقامة المعرفة صدق الافتخار [بالدين]، واستقامة السر السرور بعالم الأسرار [الغيب]، واستقامة القلب صدق

حج فهو حدّه، إلا الذكر، فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسِيحُوهُ بِكُرْهُ وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب: 41-42، فقال: لم يجعل الله عز وجل له حداً ينتهي إليه، قال: وكان أبي ﷺ كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله

ولقد كان يحدث القوم، ما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله. وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر. والبيت الذي

الإمام الصادق ﷺ: «... وكان أبي ﷺ كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم، ما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله. وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر».

يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدرّي لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين.. ثم قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله ذكراً».

حذار أن تغفل عن معنى ومفهوم هذه الرواية الشريفة! بل اجعلها - دائماً - مقصد جهدك وسعيك، وقبلة سبيلك! ولا يحولن المأكول والمشرب وسائر ما أهمك من شؤون دنياك، بينك وبين الذكر! وأمر - أيضاً - أهلك بها! سيما من كان لا يقرأ منهم.

كن على هذا النحو، حتى تفوز بسعادة الدارين! والرّجاء في أن يكون ذكر «لا إله إلا الله» آخر كلامك في الدنيا، فتنال به توفيق الدخول إلى الجنّة. فقد ورد في الخبر المستفيض: «... من كان آخر كلامه، لا إله إلا الله، دخل الجنة»، أي أنه يدخل الجنة من ختم كلامه في الدنيا بكلمة التوحيد الطيبة.

طبعاً، يتبادر إلى الذهن أنّ مقصود الرواية، هو أنّ من ختم كلامه في الدنيا حيثما حضر، بتلك الكلمة الطيبة، فسوف يدخل الجنة. وأي المعنيين كان المراد، فلا يجدر - البتة - السهو عنها.

له تورثك الرياء والعجب والسّفه والغلظة في خلقه، وهو استكثر الطاعة ونسيان فضله وكرمه، ولا تزداد بذلك إلا بُعداً ولا تستجلب به على معنى الأيام إلا وحشة. والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب وذكر صارف لك بنفي غيره، كما قال رسول الله ﷺ: أنا لا أحصي ثناءً عليك. أنت كما أثنيت على نفسك.

فرسول الله ﷺ لم يجعل لذكر الله تعالى مقداراً عند علمه بحقيقة سابقة الله عز وجل من قبل ذكره له، ومن دونه أولى. فمن أراد أن يذكر الله تعالى، فيعلم أنه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره، لا يقدر العبد على ذكره».

تدبر في هذا الحديث ولا تغفل عنه وعن الحديث الأوّل! ولتستحضر هذين الحديثين دوماً؛ فهما بحرٌ زاخرٌ بجواهر الأسرار.

كلمة التوحيد

أمّا الأذكار اللسانية، فإليك طائفة من أهمّها وأتمّها: مداومة على كلمة التوحيد؛ لا إله إلا الله.

عن أصبغ بن نباته قال: «كنت مع علي بن أبي طالب ﷺ فمرّ بالمقابر فقال:

أسلام علي أهل لا إله إلا الله، من أهل لا إله إلا الله، يا أهل لا إله إلا الله، كيف وجدتم كلمة لا إله إلا الله؟ يا لا إله إلا الله، بحق لا إله إلا الله، إغفر لمن قال لا إله إلا الله واحشرنا في زمرة من قال لا إله إلا الله. قال علي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قالها إذا مرّ بالمقابر غفر له ذنوب خمسين سنة، فقالوا: يا رسول الله، من لم يكن له ذنوب خمسين سنة قال: لوالديه وإخوانه ولعمامة المسلمين».

ولا أقل من أن يؤتى بذكر «لا إله إلا الله» مائة مرة في اليوم. روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «... ومن قال لا إله إلا الله مائة مرة كان أفضل الناس عملاً ذلك اليوم إلا من زاد». فلا حدّ لهذا الذكر، من حيث الزيادة.

يروى ابن القدّاح، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من شيء إلا وله حدّ ينتهي إليه إلا الذكر، فليس له حد ينتهي إليه. فرض الله عز وجل الفرائض فمن أداهن فهو حدّه، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه والحج فمن